

كلمة العدد

نعمة المرض



بِقَائِم

د. محمود أبو العزائم
رئيس التحرير

ضعف الإنسان وافتقاره إلى الله، وما أجمل أن يجثو المريض بين يدي الله خاضعاً متذللاً سائلاً الشفاء من مولاه، محققاً العبودية الكاملة بين يدي الخالق، قال تعالى «وَلْتَبْلُوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ» البقرة 156-157.

وفضلاً عن ذلك فللأمراض فائدة أخرى تتمثل في التكفير عن الذنوب والخطايا، فهي تطهير وتمحيص للإنسان من الشوائب التي تضر النفس البشرية.

وفي الألم تُمحي ذنوب، وتزول قسوة، ويتعلم الإنسان كيف يرحم غيره، وكيف يشعر بهم من يتألم. فالمرض، رغم قسوته، يترك في الروح أثراً يشبه المطر بعد العطش... يُعيد ترتيب الأولويات، ويُريك من يحبك حقاً، ويكشف لك ضعفك الجميل الذي يجعلك أكثر إنسانية.

وهكذا... يأتي المرض كابتلاء، لكنه يعود كنعمة، ويذهب تاركاً في القلب نوراً لا يراه إلا من صبر.

واخيراً:

المرض ابتلاء... لكن الله يجعل في كل ابتلاء هدية، وفي كل وجع حكمة، وفي كل دمة نوراً لا يراه إلا بعدما نعبّر الألم.

الجسد كما يرى الكثير من العلماء المختصين يعود إلى الأمراض النفسية التي تعد أخطر بكثير من الأمراض التي تصيب الجسد كونها تتعلق بالجانب النفسي للإنسان، كما هي الكآبة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانب الروحي للإنسان، ومدى التزامه بغذائه الروحي الذي يربطه بالخالق العظيم

والمرض يجعل القلب أكثر ليئناً، يعلمك الرحمة بالناس وبالألم، ويجعلك أقرب في شعورك لمن يتألمون.

والمرض لحظة صفاء بين العبد وربّه. الدعاء فيه صادق، والدعوة فيه خفيفة، واليقين فيه أقوى.

ولعل لحظة صدقٍ واحدة وأنت مريض، تهزّ روحك، وتفتح لك رحمة لا تراها في أيام الصحة. والمرض نافذة صغيرة تُطلّ على صدق الإنسان مع نفسه، وعلى صدقه مع الله.

وفي لحظة تعب، يصبح الدعاء أعمق، والرجاء أصدق، ويضيق الطريق حتى لا يبقى أمامك إلا باب واحد... باب الله.

وهنا يظهر المعنى الحقيقي للنعمة:

أن يردك الله إليه بطريقة تكسر غرورك، وتلين قلبك، وتذكرك بأن حياتك كلها بين يديه.

كما أن المرض يظهر مدى صبر الإنسان ورضاه عن أقدار الخالق من عدمه، وفيه يتجلى

ونعمة المرض ليست في الوجد ذاته، بل فيما يصنعه داخل الروح. وحين يزورنا المرض، لا يأتي فقط ليضعف الجسد، بل ليقوّ شيئاً آخر في الداخل... شيئاً لا نراه في أيام العافية.

«ونعمة المرض» ليست جملة سهلة، لكنها تحمل معنى عميقاً لا يفهمه إلا من جرّب الألم ثم رأى ما خلفه من نور.

فالمرض قد يبدو في ظاهره ابتلاءً يُتعب الجسد ويثقل الروح، لكنه في باطنه يحمل أشياء لا تُشترى.

فحين يمرض الإنسان، يدرك أنه ليس قوياً كما يظن، وأنه مهما بلغ من صحة أو قوة فهو محتاج إلى ربه في كل لحظة. هذا الشعور يعيد ترتيب القلب ويعيده إلى مكانه الطبيعي بين يدي الله.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن... حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها.»

فالمرض يمسح من القلب ما لا يمسحه الفرح، ويطهر الروح من تراكم الأثقال.

وأحياناً ينشغل الإنسان بالدنيا حتى ينسى نفسه، يأتي المرض ليوقف الركن، ويجبرك على أن تتأمل حياتك: من يحبك؟ من يسأل عنك؟ ما الذي يستحق أن تحزن لأجله؟ وما الذي لا يستحق؟

وأصل الأمراض التي تصيب

« الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى »
« حكمة مشهورة لم تأت من فراغ، وتخبرنا هذه الحكمة عن أهمية الصحة في حياة الإنسان التي تكتسب أهميتها عند إصابة الإنسان بالمرض، فيرى التاج الذي كان يتربع فوق رأسه ماثلاً أمامه في لحظات الضعف، وهي لحظات صعبة للغاية لكنها ضرورية في حياة الإنسان كونها تتيح له المقارنة بين حالتي الإنسان في الصحة والسقم، وبدون المرض لن تتحقق هذه المقارنة، وكما يقال الأشياء تعرف بالضد.